ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:
**Sheikh Mahdi Abbas Hamdan Al-Rubaie**
Kashan University
Email:
mirzamahdi336@gmail.com
**Umm Ali Al-Akbar Al-Abidi**
Researcher in Islamic Studies

**Keywords**: Tasbih of Fatimah al-Zahra (PBUH), Psychological pain, Qur'anic Perspective.

A R T I C L E I N F O

Article history:
Received 20 Feb 2025
Accepted 1Mar 2025
Available online 1Apr 2025

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

# The Tasbih of Fatimah al-Zahra (PBUH) and Its Role in Facing Psychological Pressure from a Qur'anic Perspective

ABSTRACT

The research explores the impact of Al-Sayyida Fatima Al-Zahra's (peace be upon her) tasbih as a Qur'anic worship method in addressing psychological pain, portraying it as a powerful spiritual tool that fosters tranquility and resilience in the face of psychological challenges. The study emphasizes how Al-Zahra's (peace be upon her) tasbih, taught by the Prophet Muhammad (peace and blessings be upon him), serves as a significant act of worship to cope with psychological pressures and verbal confrontations, which are characteristic of psychological pain. Using an inductive approach, the research analyzes Qur'anic verses on tasbih and its spiritual and psychological dimensions, and applies an analytical method to interpret its significance and effects. The study reveals the deep impact of tasbih as a Qur'anic practice, contributing to mental peace and helping combat anxiety, distress, and intrusive thoughts. It concludes that Al-Zahra's (peace be upon her) tasbih is not merely a personal act of worship but a comprehensive life approach reflecting the Qur'anic values in facing psychological challenges. It is more than just a verbal prayer; it is a complete methodology that ensures psychological peace, offering profound spiritual and educational value, improving the life of a Muslim, and becoming a practical approach to addressing psychological and social pressures.

© 2025 LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/lark.4226

الشيخ مهدي عباس حمدان الربيعي/ مؤسسة رواد للتنمية والاعلام-العتبة الحسينية
أم علي الأكبر العابدي/باحثة في الشأن الإسلامي

**المستخلص**

يتناول البحث بالدراسة والتحليل أثر تسبيح السيدة فاطمة الزهراء (ع) كمنهج عبادي قرآني في مواجهة الحرب النفسية، بوصفه أداة روحية فعّالة تعزز الطمأنينة والصمود أمام التحديات النفسية. ولذا سلط البحث الضوء على تسبيح الزهراء (ع) الذي علمها إياه الخاتم ﷺ كوسيلة عبادية عظيمة الشأن للتعامل مع الضغوط النفسية والتحديات القولية التي تحمل صفات الحرب النفسية، وذلك من خلال منهج استقرائي لتحليل النصوص القرآنية التي تناولت التسبيح وأبعاده الروحية والنفسية، ومنهج تحليلي لتفسير دلالاته وآثاره. ويكشف البحث عن الأبعاد العميقة للتسبيح كوسيلة قرآنية تسهم في تحقيق الطمأنينة النفسية والتصدي للقلق والاضطراب والوسوسة. وتخلص الدراسة إلى أن تسبيح الزهراء (ع) لا يمثل عبادة شخصية فحسب، بل هو منهج حياتي متكامل يعكس القيم القرآنية الأصيلة في مواجهة التحديات النفسية، وهو ليس مجرد عبادة لسانية، إنما هو منهج متكامل يحقق السكينة النفسية، وقيمة روحية وتربوية عميقة ترتقي بحياة المسلم، وتجعل منها منهجًا فعّالًا للتعامل مع الضغوط النفسية والاجتماعية، ويمنح قدرة استثنائية على مواجهة الأزمات، كما يعكس هذا التسبيح بُعدًا تربويًا عميقًا يدعو إلى تبنيه كوسيلة لتحصين النفس في مواجهة أجواء الحرب النفسية التي باتت جزءًا من حياة الإنسان المعاصر، حيث يمثل نموذجًا للإرشاد النفسي الإسلامي الذي يمكن تطبيقه في الحياة لمواجهة القلق والاكتئاب التي هي اهم التحديات النفسية العصر الراهن .

الكلمات المفتاحية: تسبيح فاطمة الزهراء (ع)، الحرب النفسية، المنظور القرآني.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله وكفى والصلاة على آله الشرفا الطاهرين وأصحابه الغر النجبا...وبعد:

تمثل مولاتنا فاطمة (ع) قاعدة أهل البيت (ع)، فهي أم أبيها وأم الأئمة، عاشت في كنف زوجها فترة جهادية صعبة كما في زمن أبيها الخاتم ﷺ، فقد كانت حياته في المدينة حياة جهاد وبناء للدولة الإسلامية الفريدة، ونشر الدعوة لتوحيد الله عز وجل وتبليغها في كل بقعة يمكن أن للتوحيد أن يصل إليها، فهي تعد مثلاً للمرأة المسلمة بمواساتها لأبيها وزوجها في شدتهم ومحنتهم وأسوة حسنة لجهاد المرأة المسلمة في صبرها واحتمالها ومشاعرها، حيث كانت تكافح مع أبيها وبعلها وبنيها في ساحة واحدة، هكذا ربي الخاتم ﷺ البتول الزهراء لتكون صورة حية للمرأة المسلمة وقدوة للفتاة المؤمنة. ولقد سماها أبوها البتول لكثرة زهدها وعبادتها، فقد كانت في خشونة عيشها وفي تواضع حياتها تمثل الزهد بأدق معانيه، وتحفظ وهي في مقامها الرفيع للمرأة المؤمنة طريق المرأة الواعية وتعرفها في الحياة وكيفية التعامل معها.

إن الدعوة للخير في تلك الظروف الصعبة لا تصدر إلا عن قلب نقي محب كقلب فاطمة (عليها السلام)، فهي مثل أعلى في عبادتها وزهدها وفي سلوكها وعلاقتها بأولادها وزوجها وفي وقوفها بين يدي ربها. ولا يخفى

أنه عادة ما يكون الأولياء المدافعين عن الأنبياء والرسل أول من يتعرض للتحديات والحرب النفسية من أجل إجهاض رسالاتهم وتيئيسهم من فائدة الاستمرار في سبيلها .

ولا يخفى أن الحرب النفسية وجود مرافق للإنسان منذ ظهور التجمعات الإنسانية، سواءا كانت التكتلات بدائية أم متحضرة، وقد ظهرت بمظاهر الحيلة والخديعة من أجل الفت في قوة العدو والتغلب عليه بأقل الخسائر، لكنه تطور مرور الزمن وصار منهجا علميا تهتم به الدول والمنظمات، وحتى الأفراد.

عرف المجتمع الإسلامي الحرب النفسية بمسميات مختلفة، وقد حفزت الباحث تلك الدراسات إلى النظر في القرآن الكريم بحثا عن جواب للسؤال الآتي: ما أثر التسبيح كمنهج قرآني في درء الحرب النفسية والتصدي لها؟ وتطبيق ذلك على تسبيح مولاتنا الزهراء (عليها السلام) الذي علمها إياه الخاتم ﷺ؛ لعلمه بالذي ستتعرض له من هجمات قولية عنيفة كانت تؤلمها وتدخل الأذى عليها، فيواسيها بهذا التسبيخ العظيم الشأن الرفيع المنزلة ليخفف عنها تلك الآلام، ويذلل لها تلك المصاعب، لأن أجواء تلك الحرب القولية تحمل صفات الحرب النفسية بجدارة.

أهمية البحث: تتجلى أهمية البحث في تناوله جانبا أساسيا في حياة الإنسان، مما يمكننا من فهم أعمق لكيفية أهم معلم من معالم حياة السيدة الزهراء (ع) في جانب الذكر والعبادة، وأتباعه بشكل صحيح، كما يسهم في تعزيز معرفتنا ومحبتنا وتقديرنا لمكانتها كسيدة لنساء العالمين (روحي وأرواح العالمين لها الفداء)، ويقدم لنا مثالا يحتذى به في إخلاص العبادة وتحقيق القرب من الله عز وجل ومن ثم درء مخاطر الحرب النفسية من الوسوسة والقلق والاضطراب النفسي وغيرها الكثير.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

هدف البحث: توضيح مفهوم التسبيح وبيان أبعاده العميقة من خلال منظور القرآن الكريم ومن ثم التعريج على تبيين أثر تسبيح فاطمة الزهراءفي مواجهة الحرب النفسية.

فرضية البحث: ان المنظور القرآني زاخر بالأبعاد الوافية لتحقيق الحياة المثلى للفرد المسلم من خلال منهج التسبيح، لا سيما تسبيح مولاتنا سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (ع.(

منهج البحث: استعان البحث بالمنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي، فمن خلال المنهج الاستقرائي تم إستقراء الكثير من النصوص القرآنية التي وردت على ذكر التسبيح وأهميته في بناء الإنسان في المجال النفسي للوصول إلى قاعدة كلية.

كما تمت الاستفادة من المنهج التحليلي، والذي أمككنا الوصول من خلاله إلى حقائق آثار تسبيح السيدة فاطمة (ع) وفاعليته في مواجهة الحرب النفسية.

أسئلة البحث: السؤال الرئيسي: كيف يظهر تسبيح السيدة فاطمة (ع) كمنهج قرآني في مواجهة الحرب النفسية؟

الأسئلة الفرعية:

١.ما هو الإطار المفاهيمي التسبيح والحرب النفسية؟

٢ .ما هي أبعاد التسبيح في الرؤية القرآنية؟

خطة البحث: انتظم البحث وفقا لطبيعة الموضوع ومنظور البحث على الآتي:

المقصد الأول: مفهوم التسبيح وأبعاده في الرؤية القرآنية.

المقصد الثاني: تسبيح الزهراء فاطمة (ع) وأثره في درء للحرب النفسية .

ثم ختم البحث بأهم الاستنتاجات والتوصيات، وأخيرا ثبت بالمصادر.

المقصد الأول: مفهوم التسبيح وأبعاده في الرؤية القرآنية

ما هو ملفت للنظر وجود ترابط بين أمر الالخاتم ﷺ بالتسبيح وبين مظاهر الحرب النفسية، مما حدد الإطار البحثي لتناول دلالة التسبيح في اللغة، والتي ألقت بظلالها على المفهوم في الاصطلاح، ومن ثم التعرض لأبعاده المبثوثة في نصوص القرآن الكريم.

الفرع الأول: مفهوم التسبيح

أولا-التسبيح لغة: التسبيح مصدر للجذر اللغوي: (سبح) ويعني في اللغة: الفراغ، وله دلالة أخرى وهي: (التنزيه). وذكر أهل المعجم أن التسبيح يعني: (التبري من السوء)، وقيل إن العرب إذا تعجبت من شيء تقول (سبحان من كذا)، أي أتبرأ من أي شعور بسوء تجاه المتعجب منه، وقيل (السبح): "التغلب والانتشار". (الجوهري، د.ت، (مادة سبح.((

ومن هذه الدلالات تبدو أنّ كلمة (التسبيح) تعلقت بالذات الإلهية، ومرت بدلالات بعضها يفضي إلى بعض حتى كونت مصطلح (التسبيح) ومهدت للمركب: (سبحان الله) حتى أخذ هو الآخر دلالة لغوية خاصة به (ابن منظور، د.ت: (مادة سبح.((

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

وقيل أيضاً إن قولك: (سبحانك أي أنزهك يا رب من كل سوء وأبرئك). (ابن منظور، لسان العرب: (مادة سبح))، وقد أشبعت دلالة التنزيه والتبري من كل سوء لتدل على التغلب بتلك الصفة وانتشارها، فصارت دلالة التنزيه تكمن فيها طاقة التغلب والانتشار، مما يجعلنا نشعر بأن البحث في الدلالة المعجمية حاول أن يستوفى من المعجم ما يسلط الأضواء على دقائق دلالة التسبيح، ولا يدعي بأنه قد استوفاها.

ثانيا-التسبيح اصطلاحا

معلوم أنه من الدلالة اللغوية ينبثق الاصطلاح، لذا فمن مشروعية القول الافتراض بأن دلالة (سبح) المعجمية التي تعني الفراغ هي التي دعت الاصطلاح لتكوين دلالة التسبيح بمعنى التنزيه، حيث أن التنزيه معجميا يعني التباعد عن كل نقص، فاصطلحت الفطرة العربية على مفردة (التسبيح) حين تضيفها إلى الذات الإلهية وتصبح مركباً: «سبحان الله تعني: تباعد الذات المقدمة عن كل نقص وسوء، ويبدو أن الفطرة الإنسانية لما نظرت في المخلوقات حولها وجدت النقص يشوب كل مخلوق، فتعجبت من الذات الإلهية، وأرادت ان تستحلب عجب الآخرين وتعجبهم، فوجدت بدلالة التسبيح التعجيب فاصطلحت قول: (سبحان الله)، لتنزيه الذات الإلهية من كل نقص. ولما كان سبب التعجب فراغ الذات الإلهية من كل نقص، قاد ذلك إلى التبري من كل سوء ينسب لتلك الذات المقدمة، وحينئذ قارنت الفطرة بين الذات الإلهية والمخلوقات فوجدت المخلوقات كلها تحمل النقص، فتعجبت وراحت تطلب العجب من الآخرين، وبهذا تكتمل الحلقة المفرغة، حيث ستعود

الفطرة بالمسار مرات ومرات لتجد أنها إذا بدأت بمعرفة الخلو من كل نقص ذهبت بها هذه المعرفة إلى التعجب والتعجيب، وإن بدأت بالتعجب والتعجيب فسيقودها إلى البرهان على ذلك بخلو الذات الإلهية من كل نقص وتباعدها عن صفة كل مخلوق؛ وهكذا يبدو أن الاصطلاح كان فطرياً أكثر من كونه قصدا عقليا، فسبحان الله رب العالمين.

الفرع الثاني: أبعاد التسبيح في آيات القرآن الكريم.

بين الله عز وجل فى كتابه أهمية التسبيح وقيمته وعظمته من خلال بيان منزلة المسبحين وعظمة مقامهم وكرامتهم عنده عز وجل، وهو بهذا يشير إلى كون العلة في هذه الرفعة وعظمة هذا المقام راجعة الى التسبيح، وهو من السبل المهمة لشدّ الخلق إليه، ومن الآيات القرآنية على ذلك: قوله عزوجل: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦]، فقد دلّ الله عز وجل على رفعة البيوت التي يسبح له فيها، وهو عز وجل أذن وأمر أن ترفع وتعظم، فما هي عظمة المسبحين، وما هي كرامتهم عند الله؟ وما هي عظمة التسبيح الذي كان السبب والوسيلة في وصولهم إلى هذا المقام والكرامة؟

وإذا رجعنا إلى الآية المتقدمة على هذه الآية يتضح الأمر بشكل أعظم، فالآية السابقة لها هي قوله عزوجل: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦]، فإنَّ مثل نوره متعلق بقوله (في بيوت) يعني أن مثل نوره في بيوت، وهذا يعني أن في تلك البيوت خلق يسبحون الله عز وجل، وبسبب هذا التسبيح وصلوا إلى مرتبة أن يكونوا مثلاً لنور الله عز وجل، فالبيوت التي اتسمت بذكر الله عز وجل الدائم والتسبيح له هي مركز نور الله عز وجل، وأن من أدام الذكر كان له الدرع الحصين.

كما يشير القرآن الكريم إلى أن المخلوقات كلها تسبح الله جل وعلا، فهناك التسبيح المنطوق كما هو الحال لدى الإنسان، وهناك تسبيح لا نفقهه كما هو الحال في المخلوقات الأخرى؛ قال عزوجل: (وتسبح لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِن شَيْءٍ إلا يُسَبِّحُ بِحمدِهِ وَلَكِن لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورا) (الاسراء:٤٤ .(

ولا يتوقف التسبيح على المخلوقات، بل إن الله سبحانه وعز وجل يسبح ذاته المقدسة في مواطن عدة وكلها تشير إلى تنزيهه جل وعلا عن النقص والاحتياج؛ قال عزوجل: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ) (يس: ٣٦)، وتسبيحه لذاته المقدسة تذكير بحقيقة مجده وغناه المطلق وتنزيهه عن كل نقص (مغنية، ١٤٢٤هـ، ٨/٥)، وتعجيب بقدرته التي لا تخضع لنواميس المخلوقات؛ قال عزوجل: (سُبحانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) (الاسراء: ١.(

و(سبحان) مصدر منصوب يتضمن معنى التعجيب والتبري والتنزيه عما لا يليق بساحة ربوبيته (السبزواري، ١٤١٩، ص٢٩٠)، كالشك بعدم قدرته سبحانه على الإسراء بعبده (الطوسي، التبيان، ٢٣٠/٦)، وقد أشار القرآن المجيد إلى تسبيح الملائكة، وتسبيح الظواهر الجوية كقوله عز وجل: (ويسبح الرعد عِهْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ في اللهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) (الرعد: ١٣). ونلاحظ أن الرعد ظاهرة جوية تظهر وتختفي، والملائكة مخلوقات غيبية، وهذا يدل على أن التسبيح يشمل الظواهر المؤقتة والدائمة والمخلوقات الغيبية، فضلاً عن المخلوقات الظاهرة، فيتبين حينئذ أن التسبيح يشمل كل شيء، حتى الطير والجبال؛ قال عز وجل: (وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ) (الأنبياء: ٧٩ .(

وقد يأتي التسبيح عهداً يقطعه العباد الصالحون على أنفسهم، كما قال عز وجل على لسان موسى: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي، وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي، وَاجْعَل لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي، هَارُونَ أَخِي، اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي، وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي، كي نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا) (طه: ٣٣)، فموسى يتعهد التسبيح ونشره بين الناس إذا أعانه الله سبحانه على ذلك بشرح الصدر وتيسير الأمر وحل العقدة التي في لسانه وتوزيره بأخيه، حيث سيتهيأ الظرف المناسب لنشر التسبيح الكثير والذكر الكثير، وبذلك يتبين أن التسبيح منه كونية علمية مادية وروحية غيبية. فأما السنة الكونية العلمية فلأن كل مخلوق في الكون ينزه الله سبحانه من النقص والاحتياج، وأما السنة الكونية الروحية الغيبية فهي الأثر الذي يخلفه التسبيح في مخلوقاته، وهذا ما سيتبين لاحقاً.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

التسبيح والبناء العلمي الحضاري

ان سورة الفتح -كما يوحي به اسمها- تشير إلى الفتح وما سيرافقه من غفران للمؤمنين ووعد بالجنة، وعقوبة للمسيئين ووعيد بالنار؛ قال عزوجل: (إنا فتحنا لكَ فَتَحًا مُّبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا وَيَنصُرَكَ اللهُ نَصْرًا عَزِيزًا هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حكيما) (الفتح: ٤-١١)، فهي مرحلة جديدة يدخل بها عصر النبوة، حيث دخول الناس إلى الدين الإسلامي أفواجاً، قال عز وجل: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَمْ وَرَأَيْتَ الناسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ توابا) (النصر: ١-٣.(

ثم بيان مهمة الرسول الخاتم ومهام المرسل إليهم؛ قال عزوجل: (إنا أَرْسَلْنَاك شَاهِدا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُ وهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتَسَبحُوهُ بكرة وأصيلا) (الفتح: ٩.(

فالتسبيح هيكل بناء الدولة المحمدية لأنه يعني تنزيه الله سبحانه عما لا يليق به (الطبرسي، مجمع البيان، ١٧٢/٩)، وهذا التنزيه رفيق للإيمان بالله ورفيق الاحترام النبي الله والمراد الاعمال أن الله سبحانه أرسل محمد لتكونوا أيها المسلمون، فما تفعلون والعمراني المثل الأعلى إيمانا وإخلاصا وعلما وعملا، وبهذا وحده تعظمون الخاتم ﷺ الركن الذي تلجأ اليه. وتنزهون الله عما لا يليق بها، فالتسبيح فعل لإظهار قوة العقيدة

وبيان الانتماء العبودي لصاحب التنزيه جل وعلا، وهو قول يظهر النفس ويطمئنها بعظمة بارئها (الكاشاني، د.ت، ص٥١٢).

في سورة الأحزاب، يأتي أمر من الله للذين آمنوا بالتسبيح بكرة وأصيلا، قال عز وجل: (وَسَبِّحُوهُ بكرة وأصيلا)، وكان هذا بعد أن أمرهم بذكر الله الكثير وبيان أن الفوز الأكبر هو علة ذلك الذكر وذلك التسبيح؛ قال عزوجل: (اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكرَا كَثِيرًا وَسَبُحوهُ بُكرَة وَأَصِيلًا هُوَ الذي يصلي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلى النُّورِ) (الأحزاب: ٤٢). والذكر الكثير يؤدي إلى عدم النسيان أبدا، وآية ذلك الذكر اللساني بالغداة والعشي، ونتيجته إخراج من الجهل بالله سبحانه إلى معرفته، ذلك أن الذكر تعليم مستمر بالصفات الإلهية، والذكر يقود إلى تدبّر تلك الصفات عن طريق ما يفصح عنه الكون ويتعلمه القلب. وبالتأكيد كلما ذكر المؤمن الله مستعينا بالصفات المتحلية في داخل الإنسان وفي خارجه في أرضه وفي سمائه، عن طريق العلم تارة وعن طريق القلب تارة أخرى، توصل إلى حقيقة التنزيه، وهي وعاء لمعاني التسبيح كلها، وعند وصوله إلى درجة المسبحين الواعين بالحقائق فاق المخلوقات المسبحة الأخرى لأنه وصل إلى درجة المسبحين مع التدبر العقلي.

إن إدراك الحقائق ليس شرطا أن يؤدي إلى وحدة ردود أفعال المدركين، لأن جزءاً كبيراً من ردود أفعال المدركين يتعلق بتاريخهم النفسي والعقائدي، ومن ثم بسلوكهم، فالذين يتأملون في نار موقدة وهي حقيقة واحدة في ذاتها، قد تكون لديهم ردود أفعال مختلفة وربما متضادة، فمن منحته النار الدفء في ليلة ثلجية، سيشعر بالراحة والعلاقة الحميمة مع هذه الشعلة، بينما الآخر كانت قد أحرقت منزله وألحقت به الأذى الكثير، فبالتأكيد سيشعر بالخوف والكراهية لهذا المخلوق المشؤوم (وبيرل هيذر، د.ت، ص٩)، ومن ذلك نفهم تفاوت الناس باستشعار التسبيح.

فيتبين لنا أن التسبيح بحقيقته العلمية والروحية خير معين على مواجهة الحرب النفسية فالتسبيح يبرمج النفس على تلقي الحقائق فقط، لأن التسبيح تدبر في كل ظاهرة تقوده إلى تنزيه الله سبحانه وعز وجل، والحرب النفسية في معظم الأحيان قائمة على الكذب والخديعة، فلا تنسجم مع سنن حقائق التسبيح.

اتخاذ القدوة من المسبحين

يقول مفكرو (البرمجة النفسية اللغوية): يمكنك أن تقوم بتصميم نموذجك للنجاح باستخدام (البرمجة النفسية اللغوية)، حيث تستطيع ملاحظة عناصر التميز لدى الآخرين واختيار ما شئت منها والتعرف على استراتيجياتهم الناجحة ومهاراتهم التي استخدموها فتقتبسها وتدخلها في حياتك الخاصة وبذلك تستطيع أن تزيد من سرعتك في التعلم دونما الحاجة إلى أن تمر برحلة التجارب والأخطاء التي مروا بها قبل الوصول إلى ما وصلوا إليه (وبيرل هيذر، د.ت، ص١٤).

ومن هنا فلابد لنا ولأجيالنا في زمننا المملوء بالفتن والحروب -لا سيما النفسية-أن يتخذوا أنموذجا من عصر صدر الإسلام لبناء تحصينات نفسية تمكنهم من التصدي للحرب النفسية الموجهة ضدهم، حيث يعرض القرآن الكريم نماذج من المسبحين تمكننا من ذلك:

١- الرجال الذاكرون

يزخر عصرنا الحاضر بفنون وأحداث كثيرة لا حصر لها، ولكثرتها تكاد تسلب منا حياتنا برمتها فتبر يحنا كيف ما تشاء وتصنع منا رجالاً ونساء كيفها تشاء، ولا سيما إذا كنا مستهدفين من قوى تحتاج إلى إشغالنا عن أنفسنا كي تسلبنا أرزاقنا وتستعبدنا، بل نظرة واحدة إلى ما نحن فيه اليوم نلمس حقيقة أن السنين باتت كالأشهر، والأشهر كالأيام والأيام كالساعات، وما ذلك إلا لكثرة ما حولنا من فنون وأحداث، وما أقصده بالفنون: الصناعات الحديثة مثل التلفاز والموبايل والأسواق والشوارع ووسائل النقل، كلها مصادر للانشغال، وفي غالبية ذلك الانشغال عدم الإنتاج فوسائل التواصل تهدر سني العمر من غير إنتاج والتلفاز يأكل الوقت وساعات الراحة والنوم، حتى إذا خلا الإنسان المحاسبة نفسه وجد كان مجهولاً قد سلب من حياته الكثير، ووجد أنه بحاجة إلى من يعينه على ضبط نفسه أمام هذه الزوبعة الحياتية.

يعرض القرآن الكريم نماذج من المسبحين يمكن التعرف على منهجهم واتخاذه قدوة> قال سبحانه: (وفي بيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ*رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَعُ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) (النور: ٣٥-٣٧)، فالمسبحون هنا رجال موصوفون بصفات خاصة، فقد ذكر أهل الأثر أنهم رجال معينون، وأن البيوت في بيوت الأنبياء، ومنها بيت على بن أبي طالب (الشيرازي، ١٤٣٤ه، ١١/١١٠)، وقال بعض المفسرين إن البيوت المشار إليها هي مراكز العلم كيفما اختلفت أشكالها، وهذا ما ييسر الوصول إلى اختبار الأنموذج؛ فالأنموذج هو ما عبر عنه القرآن الكريم:﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[النور: ٣٧]. ويلاحظ أن الآية لم تعبر عن أن الرجال لا يشتغلون بالتجارة ولا في البيع إنما لا تلهيهم تجارة ولا بيع (الشيرازي، ١٤٣٤ه،١١/١١٠). بل إن نفي لهوهم بهما دليل على أنهم يعملون بهما، ولكنهما لا تلهيهما. وهناك ملاحظة القوى يحسن الالتفات إليها هي أن القرآن الكريم لم يقل لا يلهيهم علم ولا تجارة ولا بيع ([النور: ٣٧]، لأن التسبيح ما هو إلا نتيجة للعلم، فالعلم فحوى التسبيح، إذ لا يصل الإنسان إلى معرفة الله سبحانه وعز وجل إلا عن طريق العلم والتفكر والتدبر، وهذا عين العبادة والتسبيح.

ولذلك نجد القرآن الكريم يدعو إلى التعليم، قال سبحانه: (أَفَلا يَنظُرُونَ إلى الإبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رمَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أنتَ مُذكر) (الغاشية ١٢-٢١)، فهي دعوة إلى مجموعة من العلوم: علوم الحيوان ونشأتها وعلوم الفلك وتطورها وعلوم الأرض وما تحويه من علوم مختلفة، فالتسبيح الواعي هو الذي يكون نتيجة لعلم وتدبّر، وهذا يقودنا إلى الاقتداء بالبرنامج العلمي الأول لأولئك الرجال، حيث تبرمجت أنفسهم على التعلم، والعلم اليوم بين أيدينا متوافر، فالوسائل التي سلبتنا وقتنا وحياتنا فرصة للتعلم، إذ بالإمكان عرض تلك التساؤلات على مواقع العلوم في الانترنيت لنجد الإجابة ميسرة، وبالتأكيد أن كل معلومة جديدة ستثير فينا العجب من عظمة القدرة الإلهية، فلا يكون لنا محيص حينئذ من أن نسبحه عز وجل ونقول: (سبحان الله)، ولكن بحضور حقيقي لذلك التنزيه وليس لقلة لسان فحسب.

وبعد هذه الرحلة التعبدية العلمية نتوجه إلى أعمالنا لإدارة حياتنا وأرزاقنا ضمن أوقات مبرمجة لا تلهينا عن أوقات التسبيح حيث خصصتها الآية المباركة بالغدو والآصال. فإذا كنا كذلك فشلت ضدنا الحروب النفسية لأنها تعتمد التضليل والتجهيل، وضرب الاقتصاد (نصر، ٢٠١٠م، ص١٠٨)، والتسبيح يعتمد على العلم والمعرفة وعلى الاقتصاد وعلى العقيدة وعلى الصحة النفسية (ناموس، ٢٠١٤م، ص٤٧-٤٨)، فالقدوة المسبحون علماء عاملون، تجانس الجانب النفسي في شخصياتهم والمتمثل بذكر الله الدائم والتسبيح في الغدو والأصال مع الجانب الاقتصادي، مع توقيهم يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار، فصارت شخصيات سليمة جسديا ونفسياً واقتصادياً، وهي خير قدوة للبرمجة النفسية إذا درسنا شخصياتهم بعمق واحتذينا حياتهم. قال صاحب الميزان (قدس): إن قوله: (إن لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) "يراد به هيئة للنفس، بها يمكن للإنسان أن يحفظ ما يقتنيه من المعرفة وإحضارها وقت ما شاء" (الطباطبائي، ١٤١٤م، ج ١٦ ص١٣٦)، فنستحضر تلك المقتنيات العلمية لصد تلكم الهجمات الحرب النفسية.

٢-التسبيح لمواجهة الكذب والبهتان:

من أظهر أسلحة (الحرب النفسية (الكذب))، وله أوجه عدة منها الإفك والافتراء والبهتان، وكل وجه له دلالة تخصه، فالإفك لفظ لا يطلق على كل كذبة، بل الكذبة الكبيرة التي تبدل الموضوع عن حالته الأصلية، بينما هو في (الحرب النفسية) لتحقيق غايات مطلوبة عند العدو، لذلك تحاك من خلال البهتان: قول الزور (الشيرازي، د.ت، ٤٣/١١)، أي تزييف الحقائق، وغالبا ما يكون الكذب مقصوراً الإشاعات المقرونة بالأباطيل من أجل إسقاط الأخر، أو إسقاط رموز تحطم بإسقاطهم النفوس، فالكذب آلة فتاكة في المجتمع إذا ما اتخذها العدو الله للحرب النفسية.

يذكر القرآن الكريم إفكا وبهتانا حيكت منه حرب نفسية على الالخاتم ﷺ وكان يقصد من ورائه إسقاط رمز النبوة المحمدية في ذاتها وعند المؤمنين، حيث تدرك النفس البشرية أهمية الرمز والقدوة في مسير الأمة ذات العقيدة، فقد ورد في التفسير: (والمستفاد من الآيات أنهم رموا بعض أهل الخاتم ﷺ ص بالفحشاء، وكان الرامون عصبة من القوم فشاع الحديث بين الناس يتلقاه هذا من ذاك، وكان بعض المنافقين أو الذين في قلوبهم مرض يساعدون على إذاعة الحديث حبا منهم أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا فأنزل الله الآيات ودافع عن نبيه (الطباطبائي، د.ت، ٨٩/١٥). وكان التسبيح جزءاً من برنامج دحر هذه الحرب النفسية؛ قال سبحانه: (وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُ مَا يَكُونُ لَنَا أَن تَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ) (النور ١٦.(

وقد سبقت هذه الآية آية أخرى تثبت قاعدة أساسية لصد الحرب النفسية والمتمثلة (بالظن الحسن بالنفس)، قال عز وجل: (لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هذا إِنَّكَ مُبِينٌ (النور:١٢)، فالمؤمن يظن بنفسه فلنا حسنا، ولذلك عليه أن يظنّ الظن نفسه بأخيه المؤمن، لأن العقيدة واحدة وأصحابها كالنفس الواحدة (الطباطبائي، د.ت، ٩١/١٥). وقد توعد القرآن الكريم من خالف هذه الصفة بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَالله يعلم وأنتم لا تعلمون)( النور: ١٩ .(

وهذه الظاهرة لها صداها اليوم؛ حيث نجد من هم مجندين لإشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، يستلذون بإلصاق تهم الفاحشة بهم، سواء أكانت الفاحشة حصلت فعلا ولكن ممن انتحل صفة الإيمان فتعمم على أنها ظاهرة تصدر من جميع المؤمنين، أو أنها كذب محض، فتقدم هذه الروايات بالطرق الفنية: مرة على شكل طرفة، ومرة على شكل فيديو ملفق، ومرة على شكل قصة يدعي الراوي أنه قد رآها، وإذا لم يتنبه المؤمن إلى هذه القضية ويعمل بالتوصية القرآنية أي يقول: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ١٦﴾ [النور: ١٦]، فسرعان ما يجد نفسه يشارك بنشر إشاعة الفاحشة في الذين آمنوا، ولا سيما حين تصل رسالة عبر وسائل الاتصال وتطلب نشرها بحجة فضح المفسدين، فينشرها الشخص وهو جاهل بمصدرها، فهل هي من فاسق فتحتاج إلى تبيين، أو إنها ممن يريد أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، فمن عوامل صد الحرب النفسية ضد المؤمنين عدم نشر رسائل كتلك. فالمؤمن الحقيقي لا يصدر منه شيء من هذا القبيل. ومن ثم يمكننا القول إن التسبيح في هكذا مواقف من أنجع وسائل مقاومة الحرب النفسية حيث ينزه المؤمن الله سبحانه حين يسمع بالإفك والبهتان، ولا يكون طرفا في نشره.

وعودا على بدء فإن الأمر بالتسبيح في القرآن الكريم لم يؤمر به مخلوق بشكل منفرد سوى الرسول الخاتم ﷺ و النبي زكريا (ع)، فقد أمر الرسول بالتسبيح منفردًا في أربعة عشر موضعا بصيغة فعل الأمر، ومرتين بضميمة المؤمنين، وكان بصيغة فعل الأمر المسند إلى ضمير الجمع (سبحوا). وأما بصيغة المصدر (سبحان) المسبوق بفعل الأمر (قل) فقد ورد مرتين .

أما الخاتم ﷺ زكريا فقد ورد أمره بالتسبيح مرة واحدة فقط، والمتابع لتلك الأوامر بالتسبيح يجدها وصفات لصد حرب نفسية وجهت ضده ﷺ، وإن من المصائب الكبرى الممتحنه بها ﷺ (ما كانوا يقولون)، وهي حرب نفسية واضحة الأبعاد، وكان (التسبيح) الخط الأول لصد تلك الحرب وأول أمر بالتسبيح يطالعنا في سورة الحجر: قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (الحجر: ٩٨). فضيق الصدر والأذى يحصل لأن الرسول ﷺ إنسان له أحاسيس وعواطف، لكن القرآن يثبت قلبه ﷺ بوساطة: "التسبيح بالحمد" أي تفكر بنعم الله فكلها تستحلب الحمد، لتصل إلى حقيقة تنزيه الله سبحانه وعز وجل من كل نقص وعيب. وبعد ذلك ستستقر نفسك إلى الوعد الإلهي بنصر رسله، مما يدعوك ذلك الاطمئنان إلى السجود حبا لله وطاعة وعبودية وتقربا تمسح بها الآلام والأوجاع، واستمر في هذا الحال حتى يأتيك اليقين، أي حتى يأتيك الموت، وهذه وصفة غنية لمن يقتدي بالرسول حين يتعرض لحرب نفسية يضيق منها الصدر.

قال سبحانه: ﴿لَتُبْلَوُنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُ وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ) (آل عمران: ١٨٦.(

الأموال والأنفس مدعاة للحرب النفسية سواء بالاتهام والإشاعات، أو بالحسد وتمني زوال نعمة الآخر، فالرسول الأعظم (ﷺ) والمؤمنون قد ابتلوا بذلك، وقد ورد في التفسير: "الإبلاء الاختبار، بعد ما ذكر سبحانه جريان البلاء والإبلاء على المؤمنين، ثم ذكر قول اليهود وهو مما من شأنه أن يوهن عزم المؤمنين أخبرهم

بأن هذا الإبلاء الإلهي والأقاويل المؤذية من أهل الكتاب والمشركين ستتكرر على المؤمنين، ويكثر استقبالها إياهم وقرعها سمعهم، فعليهم أن يصبروا ويتقوا حتى يعصمهم ربهم من الزلل والفشل، ويكونوا أرباب عزم وإرادة، وهذا إخبار قبل الوقوع ليستعدوا لذلك استعدادهم، ويوطنوا عليه أنفسهم" (الطباطبائي، د.ت، ج٤: ص٨٤.(

فالنص القرآني يؤكد أن هذه (الحرب النفسية) ستستمر على المؤمنين من المجاهدين في عصر الخاتم ﷺ وفي المستقبل، لا سيما مع ابنته الزهراء (ع)، وهذا ما سنراه في المطلب القادم.

المقصد الثاني: تسبيح فاطمة الزهراء (ع) وأثره في درء الحرب النفسية

وفي هذا المطلب نتناول تسبيح الزهراء فاطمة (ع) وأثره في درء الحرب النفسية من خلال الفرعين التاليين :

الفرع الأول: مفهوم الحرب النفسية ونشأتها.

الفرع الثاني: فاطمة الزهراء(ع) وملامح الحرب النفسية.

الفرع الأول: مفهوم الحرب النفسية ونشأتها

أ-الحرب النفسية لغة: ان لفظ (الحرب النفسية) مركب لغوي يستوجب معرفة لكل من مفردتيه في اللغة، ومن ثم الوصول إلى معرفة الدلالة اللغوية للمركب. "فالحرب نقيض السلم، والسلم هو الأمن"، وأصله طمأنينة النفس وزوال الخوف، لذلك فكل ما لا يحمل في طيه سلام أو أمن فهو نقيض السلام بما في ذلك الحرب (الزبيدي، ٢٠٠١م، ج٣٤: ص٥٥.(

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

أما النفس في اللغة، فهناك دلالات عدة منها: تعني الروح التي تزول بزوال الحياة، وتبين أهمية مصطلح (الحرب النفسية) عندما نفهم من الدلالة اللغوية بأنها إزالة للسلم مع النفس المحاربة، ومن هنا نستشعر خطورة المصطلح. كما أن العرب تجعل النفس نفسين، فاعتبروا أن من تأمره نفسٌ، وجعلوا التي تنهاه كأنها نفس أخرى (ابن منظور، د.ت، ص٤٦٠)، فالحرب التي تسلط على النفس ستجعلها مأمورة ومنهية عن الشيء في الوقت ذاته، وهذه أولى أمارات التمزق النفسي الذي تخلفه الحرب النفسية.

ورد في القرآن الكريم مفهوم (الحرب النفسية) ولكن بمفردة خاصة، وهي: (المرجفون)، وكانت دلالتها اللغوية متأتية من (الرجف): وهي الحركة المضطربة (ابن منظور، د.ت، ص٤٦٠)، ويبدو أنها تطورت إلى الخوف الذي ينتج عنه ارتجافا في الجسد، واستعملت تلك الدلالة لتعبر عن الكلام الذي يثير الخوف ويثير الرجف في الجسم، مما جعل المفردة الواردة بصيغة اسم الفاعل تطلق على الشخص الذي يتقصد إثارة الخوف عن طريق كلامه، حتى عبر القرآن الكريم عمن يسعى إلى ذلك بقوله سبحانه: ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مرض وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنغْرِينَكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا [سورة الأحزاب: ٦٠]. وقد ورد في التفسير (الطبرسي، د.ت، ٥٨٠/٨) بأنهم المنافقون الذين يولدون الأخبار الكاذبة من أجل أن يضطرب الناس. من كل ما سبق يتبين وعي المركب اللغوي (الحرب النفسية) للدلالة وبأبعادها كلها.

ب-الحرب النفسية اصطلاحا

) الحرب النفسية) غالباً ما تكون سياسية مخططاً لها، صادرة عن أجهزة الدولة أو عن جماعات معادية، هدفها تحطيم معنويات الخصم وكل قدراته، مستعينة بعلم النفس. وقد تكون الحرب النفسية على شكل أقوال أو أفعال أو صور قادرة على تشكيل تصورات الآخرين بما يريد لها شان تلك الحرب. وقد تستخدم على شكل أنشطة نفسية قد خطط لها في حالتي السلم والحرب للصديق والعدو من أجل التأثير في مواقفه وسلوكياته وتوجيهها إلى الوجهة المطلوبة، وهي طريقة بديلة عن التغيير السلوكي العنيف، وتأخذ الدعايات والإعلانات الطريق الأمثل إلى النفوس (ناموس، د.ت، ١٣ -١٤.(

وتأسيسا على ذلك لنا أن نستنتج تعريفاً مفاده أن: (الحرب النفسية) فعاليات تسلط طاقات إيحائية على العقل الباطن كي تتغير الأوليات في مخزوناته فتتقرب الوجهات المرادة عند الجهة المحاربة، وتبتعد الأخرى.

والمتابع لمفاهيم (الحرب النفسية) يجد إمكانية استعمالها لإحقاق الحق، وذلك عندما تستخدم لذلك الهدف. كأن تكون تلك (الحرب النفسية) للدفاع عن حق أو لاسترداد حق مغتصب، ولكن غايتها دائماً أن تغير سلوك الجهة المستهدفة لصالح الذات أو لصالح ذلك الحق المدافع عنه أو المستلب والمحاول استرداده.

وسنرى أن التسبيح الفاطمي في المقاربة القرآنية له سلاسل ممتدة بينه وبين هذا الموجز، ويراه البحث بأنه كاف لبسط مهاد التبيّن حول التفصيل فيما يأتي من البحث إن شاء الله.

نشأة الحرب النفسية

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

تعد الحيلة والخديعة الجذور الأولى للحرب النفسية، ومن أولى تلك الجذور القصص الطريفة الحاكية عن الطرق التي قام بها الحكام في قديم الزمان عندما يرون أن الانتصار بالقوة محال، ومثال ذلك خدعة (توحتمس الثالث (١٤٢٥ ق. م.) وحاكم يافا، حين خدعه بالتحالف ضد الفرعون حتى نال منه فقتله، ولم تكن هذه الحيل حكرًا على ثقافة دون أخرى فالتاريخ الصيني القديم يروي الكثير من هذه الحيل. ففي سنة: (٣٢م) حيث استخدم امبراطور الصينية وحوش حدائق الحيوان الصينية؛ ضد صفوف المتمردين فارتعبوا وهزموا (نصر، د.ت، ص٥٤ .(

ظهرت (الحرب النفسية) مصطلحاً مقصوداً قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية (النجار، ١٩٩٠م، ص٦٦)، ولكن هذا لايفهم منه أنها لم تكن موجودة على شكل سلوك مقصود لذاته، فهي موجودة في بعض تراثيات الأديان موجهة ضد الرب. ففي التوراة -على سبيل المثال -تظهر حرب نفسية يتعمدها الناس ضد الرب من أجل إفشال مشروعه في خلق آدم" (زكار، د.ت، ١١٤). وكذا الأمر في الإنجيل إذ (عبدوا البعليم وتركوا الرب.... وسجدوا لها وأغاضوا الرب) (الانجيل الاصحاح الثلاثي / قضاة.). والعصر الجاهلي لم يكن بعيدا عن أشكال الحرب النفسية، فقد أظهر أمثلة لتلك الحرب في شعر الفخر وشعر الحماسة، وربما معظم أغراض الشعر كانت تمس الحرب النفسية من بعيد أو من قريب: فالشعراء عندما يفخرون في حماسياتهم ليس من هدف لهم إلا الحرب النفسية على الأعداء ورفع معنويات الأصحاب (النجار، ١٩٩٠م، ص٦٦.(

عادة ما يكون الأنبياء والرسل والأولياء أول من يتعرض للحرب النفسية من أجل إجهاض رسالاتهم وتيئيسهم من فائدة الاستمرار في سبيلها. وفي قصة يعقوب (ع) (الطوسي، د.ت، ص٩٦) مع أبنائه تظهر قوة الحرب النفسية المخطط لها من أجل تغيير السلوك النبوي المتلقى من الله سبحانه وعز وجل، والتي شنها أبناء يعقوب من أجل مصلحتهم الخاصة ومن أجل إشباع غريزة الحسد وهوى النفس. فعملية تغييب يوسف التي خططوا لها بعد تشاور بينهم من أظهر أوجه الحرب النفسية، حيث قال عز وجل على لسان بعض من إخوة يوسف: (اقْتُلُوا يُوسُفَ أو اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ) (سورة يوسف: ٩.(

فقد اختير (التغييب) بعد ذلك التشاور ليكون حربًا على النفسين معاً، ولتغيير سلوكهما بصورة قسرية وفي آن واحد، فيعقوب سوف ييأس من وجود نبي المستقبل؛ لأن الذئب قد أكله فيخلو وجهه لبقية أولاده. وأما يوسف فسوف يكون عبداً يباع ويشترى فيتحول سلوكه إلى الانشغال بالرق والعبودية فينسى الكواكب الأحد عشر وينسى الشمس والقمر والسجود، فكانت حربا نفسية مدروسة بإحكام وذكاء، ولكنه ذكاء بشري ناقص عن أبعاد كثيرة مخبأة في عالم الغيب.

اما يعقوب فقد صد تلك الحرب النفسية بحرب نفسية مضادة تمثلت بالمقاطعة والحزن الشديد. قال سبحانه: (وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابيضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحَزْنِ فَهُوَ كَظِيم) (يوسف: ٨٤)، وكذلك تمثلت بإلحاحه (ع) على ذكر يوسفه بلا هوادة. قال عز وجل على لسان أهله: ﴿قَالُوا تالله تفتأ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِين) (سورة يوسف ٨٤). هذه الحرب المضادة التي تنها يعقوب ضد أبنائه أقضت مضاجعهم وأحزنت بيت النبوة والقرية التي فيها، ولم يفت في عضد سلوكه لا طول السنين ولا إصرار أولاده على كذبتهم، حتى راح الندم يدب في نفوس أخوة يوسف، وانقلبت الحرب النفسية ضدهم انقلابا واضحا، وهي تستهدف تغيير سلوكهم من الكذب إلى الاعتراف وإعلان التوبة. ولكن الاعتراف والتوبة سلوكان عسيران لا يتيسران لمن أضعفت الأهواء أنفسهم، ففضل أخوة يوسف الإصرار على الكذب. لكن الحرب النفسية ضدهم قد أنت أكلها، ولذلك نجدهم يتلاومون حين يخلو بعضهم إلى بعض، قال عز وجل: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمُ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ) [سورة يوسف: ٥٨.[

أما يوسف فلما سنحت له الفرصة استعمل الحرب النفسية الهجومية ضد إخوته سعيا منه إلى تغيير سلوكهم إلى الاعتراف والتوبة، وذلك حين أجبرهم على جلب أخيه واستبقائه عنده وإخراجهم الحرج الكبير أمام والدهم فقد كانت حربا نفسية قاسية، ولكنها تكللت بتحقيق الهدف الأسمى هو الاعتراف بالذنب وطلب التوبة، قال سبحانه: (قالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إننا خاطِئِين) (يوسف: ٩٧.[

مما تقدم نفهم أن الحرب النفسية موجودة في أكثر صفحات التاريخ قداسة وهي الكتب المقدسة لدى معتنقيها، ناهيك عن صفحات التاريخ الأخرى التي وصفت عصر صدر الإسلام الذي عايشته فاطمة الزهراء (ع .(

الفرع الثاني: فاطمة الزهراء(ع) وملامح الحرب النفسية

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

لا يخفى إنَّ الخاتم ﷺ كان يريد أعلاء كلمة الله وهداية الخلق، ولا يمكن أن يهتدي الخلق من دون حجج، والخاتم ﷺ يعلم بختم النبوة به وانه ميت كما أخبره الله عز وجل فلابد من أناس يقومون مقامه ويحملون صفاته، ولا يتم ذلك إلا أن تكون هناك امرأة بلغت مبلغ صفاته، وأن يكون هؤلاء من نسلها حتى تورثهم تلك الصفات، وهي على درجة من الطهارة بحيث إن المولود الذي أنجبته مريم (ع) يصلي خلف واحد منهم، فلابد أن تكون على درجة من العقل والكمال لم تصل إليها النساء، ومريم لم تكن وعاء لعيسى (عليهما السلام) إلا لأنها أحصنت فرجها وواجهت تلك الحرب النفسية التي شنها عليها قومها واتهموها في شرفها وعفتها، فمن أرادها الخاتم ﷺ أماً لمن يصلي عيسى خلفه كم يجب أن يكون إحصائها وكمال عقلها وطهارتها؟

كما إنَّ الخاتم ﷺ هو مدينة العلم وقد حوى صدره من العلوم ما لا يحمله مخلوق، ويريد لهذه البنت حتى تكون في أعلى مراتب الصلاح أن تحمل تلك العلوم وأن تكون لها القدرة على حمل تلك الحقائق. ويعلم ﷺ بتيار المنافقين والموتورين منه والذين لم يتمكنوا من إشفاء غليلهم منه في حياته سوف يشقون غليلهم بعده، ففي مجمع الزوائد عن ابن عباس قال: "خرجت أنا والخاتم ﷺ وعلي في حشان المدينة فمررنا بحديقة، فقال: على ما أحسن هذه الحديقة يا رسول الله، فقال حديقتك في الجنة أحسن منه ثم أومأ بيده إلى رأسه ثم بكى حتى علا بكاؤه، قلت: ما يبكيك؟ قال: ضغائن في صدور قوم لا يبدونها لك حتى يفقدوني" (المعتزلي، ١٤١٠ه، ٤:١٠٧-١٠٨ ).

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

فلابد أن يكون لهذه البنت التي هي الأحب إلى الرسول والتي سيشفون غيظهم فيها من قدرة على التحمل ومن صبر يتحمل هذا الأذى ويتحمل مصيبة فقد الخاتم ﷺ وصدمة الاعتداء على الإمام علي عليه السلام ومقامه وارتداد الأمة إلى الجاهلية، وأن تكون لها قدرة على تحمل الاعتداء على دارها التي كان يقف جبريل على بابها مستأذناً، التي هي بيت من بيوت أذن الله عز وجل أن ترفع فيها مثل نوره.

والخلاصة هي: إنَّ نبينا الخاتم ﷺ يريد أن تكون هذه البنت صورة ثانية لالخاتم ﷺ الذي تحمل من الأذى ما لم يراه الأنبياء، وان تكون عابدة الله عز وجل مثله وأنه أول العابدين، حاملة لعلومه وصفاته وأخلاقه، والذي ساد الخلائق، وأن تكون هي الأحب إلى الله كما كان هو الأحب إلى الله، وأن تكون هي الأتقى والأكرم.

فالزهراء (ع) جاءت تطلب عوناً على هذه الصعاب وعلى هذه المهام وليس عوناً على مشاغل البيت، نعم تطلب لذلك ولكن لا كما نفهم ويتبادر لنا، وإنما ليكون هذا البيت حاوياً لمثل نور الله، وايصل إلى درجة بحيث يرفع بإذن الله سبحانه، وهو البيت الذي يريد الله عز وجل أن يذهب الرجس عن أهله ويطهرهم تطهيراً، البيت الذي سيكون مأوى للحسن والحسين (ع) اللذهما لذين هم من الخاتم ﷺ وهو منهم.

والعون الذي يكون لجميع هذا هو التسبيح الذي كان عوناً له ﷺ على الصبر ومواجهة الأعداء: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ) (الحجر : ٩٧-٩٨)، فالتسبيح الذي يوصل إلى الرضا، التسبيح الذي يطرد الشيطان، التسبيح الذي يطهر الإنسان، التسبيح الذي جعل الملائكة تستحق الخلافة، التسبيح الذي جعل لهم القدرة على حمل العرش والعلم التسبيح الذي أورثهم القرب من الله عز وجل،

التسبيح الذي بـه استحق يونس (ع) الخلاص من الشدائد وبه نال الاصطفاء وجعله الله نوراً يخرج الخلق من ظلماتهم إلى النور الإلهي المبين، والتسبيح هو الذي به يستحق المؤمنون دوام الصلاة من الله والملائكة، وإلى آخر ما تحدثنا عنه من آثار التسبيح (الباوي، ١٣٩٩ه، ص٢٠٠.(

إذن من الطرق الجدّ لمهمة لمعرفة مكانة تسبيح الزهراء (ع) وعظمته هو من خلال معرفة الدو الذي أعدت له الزهراء (ع) والمقام الذي يريده الخاتم ﷺ لابنته ومن خلال معرفة المصاعب التي ستواجهها.

ولابد من الالتفات إلى أنَّ الموجود كلما ازدادت رتبته وسمى مقامه واقترب من الله عز وجل كلما كان أحوج إلى تسبيح الله عز وجل، وهذا ما لاحظناه –في المطلب السابق-في كثرة الأمر بالتسبيح الموجه للرسول أقرب الخلق إلى الله عز وجل ودوام تسبيح الملائكة، والسر في ذلك هو أنَّ المخلوق إذا اقترب إلى الله عز وجل اتصف بصفاته وأفاض الله عليه من جماله وجلاله، وهنا لابد أن يظهر عبوديته وينزه خالقـه عن كفؤ له لئلا يتوهم فيه جاهل ما توهمته النصارى في عيسى بن مريم (ع.(

ويمكن تلخيص معاناة الزهراء (ع) فيما يلي:

أ) كثرة العبادة، وهي التي كانت تقوم حتى تتورم أقدامها وطـول صيامها.

ب) ضعف بدنها بسبب قلة طعامها وشدة جوعها.

ج) الخوف على الخاتم ﷺ صلى الله عليه وآله والأذى لأذاه وتحمل ما يحمل من الهموم، وهكذا حمل هموم المسلمين والتألم لهم.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

هذا من جهة، ومن جهة ثانية لابد أن ننظر إلى ما يستقبلها وما تطمح له، ويلخص فيما يلي:

أولاً: الرغبة في المزيد من عبادة الله شكراً له.

ثانياً: الرغبة في المزيد من العلم، كما قال الله عز وجل «وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا.«

ثالثاً: الرغبة في الوصول إلى ما اتصف به الخاتم ﷺ، وأن تكون كما هو في حفظ تلكم الصفات وتوريثها.

رابعاً: الرغبة في أكمل ذرية تكون ميراث الله منها وهادية لخلق الله ويحفظ امتداد الرسول بوجودهم.

خامساً: الرغبة في الوصول إلى أعلى مراتب القرب عند الله عز وجل حباً في قربه.

سادساً: الاستعداد لمواجهة كل ما يصادفها من مصاعب، لاسيما فقد الخاتم ﷺ الذي هو أحب عندها، وما يكون بعد فقده من أعداءه والمنافقين وخصوصا ما يتعلق بمسألة خلافته.

وهكذا نفهم رغبة الخاتم ﷺ في أن تكون ابنته أكمل امرأة، وتصمد أمام مصاعب الحياة والحرب النفسية القولية التي ستواجهها نتيجة دفاعها عن مقام الإمامة، إذن ما هي الحلول؟ وأين يكون الحل؟ وما هو العون على جميع هذا؟

كيفية تسبيح فاطة الزهراء (ع (

الجواب: كل الحلول في التسبيح وفيما أعطاها الخاتم ﷺ، فهو يؤدى في اليوم الواحد خمس مرات أفضل من ألف ركعة، فهو عبادة والعبادة تورث التقوى، وهي شكر الله، وبها يكون الإنسان صابراً سخياً ذا علم وكامل

العقل، ويجعل الله له المخرج من كل ضيق، وبالتسبيح تيسر أمور الإنسان، وهو عون على أداء التكاليف: (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ... سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى ... وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى) (الأعلى:١-٣.(

قد ذكرت كيفية هذا التسبيح العظيم في مصادر عدة، ومنها ما ورد في دعائم الإسلام عن إمام المتقين (ع) قال: "أهدى بعض ملوك الأعاجم رقيقاً فقلت الفاطمة اذهبي إلى الخاتم ﷺ فاستخدميه خادما، فأتته فسألته ذلك، فقال لها الخاتم ﷺ: يا فاطمة أعطيك ما هو خير لك من خادم، ومن الدنيا بما فيها : تكبرين الله بعد كل صلاة أربعاً وثلاثين تكبيرة، وتحمدين الله ثلاثا وثلاثين تحميدة، وتسبحين الله ثلاثا وثلاثين تسبيحة ثم تختمين ذلك بلا إله إلا الله، وذلك خير لك من الذي أردت، ومن الدنيا وما فيها، فلزمت صلوات الله عليها هذا التسبيح بعد كل صلاة ونسب إليها هذا التسبيح، فيقال: "تسبيح فاطمة" (المغربي، ١٣٨٥ه ق، ١ / ١٦٨ .(

إن التسبيح يعين على الصبر لأنه يكمل عقل الإنسان كما تقدم، والتسبيح يوصل الإنسان إلى الرضا، والتسبيح يخلص الإنسان من الشدائد، والتسبيح يطهر الإنسان من كل النقائص، والتسبيح يمنح الإنسان القدرة على حمل العلم.

وبهذا تتضح لنا أهمية وعظمة تسبيح الزهراء (ع) من خلال نفس هذه الهبة الإلهية من قبل الخاتم ﷺ لها مع ما هي عليه من العبادة، وما الذي يريد أن تصل له هذه البنت، وما الذي تريد أن تصل إليه.

الفرع الثالث: آثار تسبيح الزهراء (ع) وفاعليته في درء الحرب النفسية

مما

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

تقدم بحثه يتبين أن هناك أساليب شتى للحرب النفسية، ولكنها عرفت بمصطلحات حديثة لا يمكننا أن نجدها نفسها في عصر الزهراء (ع)، ولذلك سيتعامل البحث مع المفردات التي تداولها القرآن الكريم وتحمل الدلالة الاصطلاحية الحديثة المستعملة في موضوع الحرب النفسية.

هذا وما يمكن أن يقال في المقام هو أن آثار الذكر مطلقاً وإن لم يكن كثيراً، تنطبق على تسبيح فاطمة (ع) بطبيعة الحال-فالتسبيح من أجلى مصاديق الذكر بلا ريب-فكيف إذا كان الذكر كثيراً وتسبيح الزهراء (ع) منه؟ فقطعاً ستكون النتائج أكثر.

وما يمكن أن يستدل به على ذلك هو التالي:

.1الأثر الأول: استحقاق الذكر وحصول الطمأنينة وارتقاء المرتبة الوجودية

إن ذكر العبد لله عز وجل ما هو إلا استحقاق العبد لذكر الله عز وجل له؛ لقوله عز وجل: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]. وكما أن ذكر العبد لله سبحانه هو بسبب الحب، فلابد أن يكون ذكر الله للعبد أيضاً بسبب الحب أي حب الله للعبد، وذكر الله عز وجل هو العطاء، وقد ورد أن الله عز وجل يذكر العبد بها هو خير من ذكر العبد له، كما ورد في الحديث القدسيّ: "يا عيسى اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي..." أراد به الذكر القلبي وهو عدم الغفلة عنه، وذكره عز وجل في نفسه عبارة عن الإكرام وإفاضة الخيرات

..."واذكرني في ملأك أذكرك في ملأ خير من ملأ الآدميين". (المازندراني، ١٤١٥ه، ١٢: ١٢٥.(

كمـا أن

الذكر الكثير هو إقرار بشدة حب العبد لله عز وجل، والسر في ذلك هو أن الذكر فرع الحب، والإنسان لا يذكر كثيراً إلا إذا كان شديد الحب كما جاء في دعاء قائد الغر المحجلين لصاحبه كميل "واجعل قلبي بحبك متيما، ولساني بذكرك لهجا."

ومن ثمّ فلا مناص من حصول أعلى درجات الراحة النفسية وهو حصول الطمأنينة وإنتفاء القلق والاضطراب، التي هي من أفدح مخاصر الخرب النفسية؛ قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨[

إنَّ ذكر الله عز وجل موجب لزيادة المرتبة الوجودية للإنسان وزيادة العطاء في ذوات الذاكرين : ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (النور: ٣٧-٣٨)، فقال عز وجل يزيدهم أي هم أي ذواتهم وليس يزيد لهم أي أن الزيادة فيهم وليس في شيء خارج عنهم، فينتقل الموجود إلى مرتبة وجودية أخرى، وهذا يعني أنه موجب مثلاً لنور الله عز وجل كما في الآية المتقدمة على هذه الآيات: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ ...﴾ [النور: ٣٥.[

.2الأثر الثاني: الأمر بالتسبيح لصدّ الحرب النفسية

ومما يؤكد عليه القرآن أن الخاتم ﷺ كان يضيق صدره بالحرب النفسية التي تشنّ عليه، فكانت العناية الإلهية تحفه في تلك الظروف لتسليته وتقوي روحه، وكان الأمر بالتسبيح هو عنصر الحاضر في أغلب حوارات التسلية، فالتسبيح وذكر الله عز وجل دور كبير في إمداد الإنسان بالقوة أمام المشاكل والمحن قال عز وجل: ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا، وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الإنسان:٢٤-٢٥)، فإنَّ لذكر الله عز وجل دور في الصبر الذي طلب منه.

ومن ثمّ فإن الذكر والتسبيح هو وسيلة لإبعاد الإنسان عن الرذيلة بسبب التحكم في غرائزه وضبطها قال الله عز وجل: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٥.(

لا يخفى أن من أهم موجبات الأمراض النفسية هي الذنوب والمعاصي، التي تؤدي بالعبد ليكتب من الغافلين. ولذا لا مناص له من أن يلجأ الى التسبيح وذكر الله عز وجل، وبهذا يتخلص الإنسان من عقوبات الغفلة المترتبة على الآثام وهي عقوبات خطيرة: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ (الأعراف: ٢٠٥)، ومن أشد العقوبات التي أعدت للغافلين هو الوقوع في معصية اليأس من رحمة الله على سعتها وعظمتها، فقد جاء في دعاء الإمام زين العابدين (ع) المعروف بدعاء أبي حمزة الثمالي الذي يقرأ في أسحار شهر رمضان "أَوْ لَعَلَّكَ رَأَيْتَنِي فِي الْغَافِلِينَ فَمِنْ رَحْمَتِكَ آيَسْتَنِي" (القمي، ٢٠١٥م، ص١٥٦)، ولا ييأس من رحمة الله إلا القوم الضالون والكافرون ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ

رَوْحِ اللَّهِ إِنَّـهُ لَا يَيْـأَسُ مِـنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا لقـومُ الكَـافِرُونَ﴾ (يوسف: ٨٧)، وهذا يعنـي أن الغفلـة وتـرك ذكـر الله يوصل الإنسان إلى البـ الذي هو من الكبائر التي تستوجب دخول النار، وقد توصل الإنسان إلى الكفر.

.3الأثر الثالث: التسبيح والهدى بالخلاص من الضيق والعيشة الضنكة

للتسبيح بالغ الأثر في إيراث الهدى للمسبحين، ففي الآيتين المباركتين يقول عز وجل: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أعمى﴾ (طه: ١٢٣–١٢٤)، نرى أنه قد جعل الله عز وجل الإعراض عن الذكر فى قبال إتباع الهدى، وهذا يعنى أحد احتمالين: إما أن يكون الهدى هو عدم الإعراض عن الذكر، مقابل الهدى الإعراض عن الذكر، فمن أعرض عن ذكر الله كان ضالاً غير مهتدياً، وهذا يعني اتحاد الذكر والهدى، والاحتمال الثاني في هذه المقابلة هو دور الذكر في الهدى.

وأعقبها الله عزوجل مباشرة بالنتيجة المترتبة على الهدى وهي الخلاص من عيشة الضيق والضنك، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أعمى﴾ (طه: ١٢٤)، بناء على أن المراد من الذكر هو ما يقابل النسيان، فإن مـن ثمرات الذكر هو الخلاص من المعيشة الضنكة والتمتع بالمعيشة الرحبة الوسيعة.

وحينما نرجع إلى القرآن الكريم نرى أنه يبين لنا أنَّ الاشتغال بذكر الله لـه من اللذة ما يجعل الإنسان ينشغل كل لذة، ولا يمكن لباقي اللذائذ أن تصد الإنسان عنه رغم أن تلك اللذائذ ملازمة للإنسان، فقد قال الله عز وجل ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ (النور: ٣٧)، فإنَّ والدنيا وزينتها لا تلهيهم عن الذكر للذة الذكر، لأن الذكر يجعل عندهم من الإرادة على ضبط النفس والتحكم فيها.

.4الأثر الرابع: التسبيح ودفع الأذى النفسي الناتج من الشيطان ووسوسته

من الآثار المهمة للتسبيح بشكل عام ولتسبيح الزهراء (ع) خاصة هو حفظ الإنسان من الشيطان وإبعاده عنه وبالتالي الخلاص من شروره ووساوسه، والخلاص من الشيطان خلاص من خطر كبير، والدليل على خطورته تعوذ الأولياء بالله منه، وقد أمر الله عز وجل بالتعوذ منه حتى عند قراءة القرآن، فإنَّ القرآن تحدث كثيراً عن الشيطان، ومن المطالب التي تحدث عنها هو ما يتمتع به من قدرات وإمكانيات.

أ) شدَّة عداوته للإنسان مما يجعله شديد الانتقام من الإنسان، لقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٢١.[

ب) إنه لا يرى، فلا يعلم الإنسان به ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧]، وخطورة العدو تكون أشد إذا كان لا يرى .

ج) له قدرة إيصال وساوسه إلى صدر الإنسان وداخله ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٤-٥.]

د) كثرة جنوده وأعوانه وقدراته: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ (الإسراء: ٦٤.(

هـ) قدرته على التمثل، فقد يتمثل بصورة إنسان كما تمثل لمشركي قريش في واقعة بدر ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ الناس) (الأنفال: ٤٨.(

وقدرته على الإتيان من كل الجهات فليس له جهة محدودة ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ* ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ (الأعراف: ١٦-١٧.(

ز) إنَّه ملعون أي مطرود من رحمة الله عز وجل، فلا يعرف للرحمة معنى، فلا يرق لصغير أو كبير أو عاجز أو غير ذلك: (فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) (ص: ٧٨.(

ح) في صوته القدرة على استفزاز الخلق وإبعادهم عن الحق ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ) (الإسراء: ٦٤.(

ط) كما أن من العقوبات التي أعدها الله عز وجل لمن يعش عن ذكره هو ملازمة الشيطان له وتسليطه عليه كما جاء في قوله عز وجل: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (الزخرف : ٣٦)، وهذا يعني أن من آثار الذكر بعد الشيطان وطرده بناء على أن المراد من الذكر فى الآية المباركة هو ما يقابل النسيان والشيطان حين يتسلط يوصل الإنسان إلى مرحلة أخطر من العشو وهي الشيطان لقوله عز وجل: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾ [المجادلة: ١٩]، فهذا الاستحواذ الشيطاني مما يؤدي الى مرحلة النسيان لذكر الله عز وجل،

والثابت في القرآن الكريم أنّ الأحزاب اثنان هما: حزب الله وحزب الشيطان، فمن لم يكن من حزب الشيطان فهو من حزب الله، ولما كان الدخول فى حزب الشيطان بالإعراض عن ذكر الله، فهذا يعني أن الدخول في حزب الله يكون بذكر الله، وهذا من أعظم ثماره، فإن لحزب الله خصائص لا يمكن التعرض لها في هذه الأسطر.

إلى غير ذلك من الإمكانيات والقدرات والمخاطر التي يشكلها على الإنسان، ومع كل ذلك فإنَّ التسبيح وسيلة لدحر الشيطان وإبعاده عن الإنسان وجعله في مأمن منه .

وخلاصة ما تقدم من الآثار يبين لنا أن هذا التسبيح العظيم هو مصدر للأمن والطمأنينة والسلام والرضا وموروث للقوة والصمود أمام الشدائد والمحن وعلاج لأي مظهر من مظاهر الحرب النفسية ومخاطرها المتعددة. كما ورد هذا المعنى من الخبر، عن الإمام الصادق قال: أتى أخوان إلى الخاتم ﷺ فقالا: إنا نريد الشام في تجارة فعلمنا ما نقول، فقال: نعم، إذا أويتما -في الليل-إلى المنزل، فصليا العشاء الآخرة، فإذا وضع أحدكما جنبه على فراشه بعد الصلاة، فليح تسبيح فاطمة (ع). ثم أن لصوصاً تبعوهما لما سافرا حتى إذا نزلا بعث اللصوص غلاماً لهم ينظر كيف حالهما. فناما ولكن مستيقظين فانتهى الغلام إليهما وقد وضع أحدهما

جنبه على فراشه وقرأ آية الكرسي وسبح تسبيح فاطمة الزهراء، قال: فإذا عليهما حائطان مبنيان، فجاء الغلام فطاف بهما فلما دار لم ير إلا الحائطين المبنيين، فرجع الغلام وأخبر اللصوص بذلك فقالوا له: أخزاك الله لقد كذبت، بل ضعفت وجنت، فقام اللصوص بأنفسهم فنظروا فلم يجدوا إلا حائطين فداروا بالحائطين فلم يسمعوا ولم يروا انساناً فانصرفوا إلى منزلهم. فلما كان من الغد جاء اللصوص إليهما فقالوا أين كنتم البارحة فقالا: ما كنا إلاها هنا وما برحنا. فقال اللصوص: والله لقد جئنا وما رأينا إلا حائطين مبنيين، فحدثونا ما قصتكم؟ قالا: أتينا الخاتم ﷺ فسألناه أن يعلمنا، فعلمنا آية الكرسي وتسبيح السيدة فاطمة الزهراء (ع) فقلنا ذلك. قال اللصوص: انطلقوا لا والله ما تتبعكم أبداً ولا يقدر عليكم لص أبداً بعد هذا الكلام من الخاتم ﷺ" (العاملي، ١٤١٣ه، ص٤٤١.(

الخاتمة

أولا: الاستنتاجات :

.1يُعبر التسبيح في معناه اللغوي عن التنزيه الإلهي المطلق من كل نقص، ولا يمكن للإنسان إدراك حقيقته إدراكًا كاملًا إلا من خلال التأمل في صنائع الله ومعرفة أسرار خلقه.

.2إن الأمر الإلهي بالتسبيح ليس مجرد تكليف يؤديه الإنسان تخلصًا منه، بل هو تشريف رباني يمنح الإنسان فرصة الاتصال بالله عز وجل، ومناجاته، وتنزيهه عن كل نقص، مما يعزز روح العبودية الحقة في النفس.

.3يشكل التسبيح محورًا أساسيًا في المنهج القرآني، حيث أسست له النصوص الشرعية كركيزة لا غنى عنها في حياة الإنسان، لما له من دور في تحقيق التوازن النفسي والاستقرار الروحي.

.4تناولت آيات القرآن الكريم مكانة المسبحين ورفعة درجاتهم، مما يعكس أهمية هذا النهج الإلهي في حياة الإنسان، ويبرز دور فاطمة الزهراء(ع) كنموذج متكامل لصياغة العبادة الحقيقية من خلال تسبيحها المبارك.

.5لطالما كانت الحرب النفسية أداة فعالة تُستخدم للتأثير على الأفراد والمجتمعات وتوجيههم وفق أجندات معينة، مما يجعل الوعي بها والتحصين ضدها ضرورة ملحة لحفظ الهوية الإيمانية والتصدي لمخاطرها.

.6واجهت السيدة فاطمة الزهراء (ع) حربًا نفسية ممنهجة بعد وفاة أبيها ﷺ، فكان تسبيحها العظيم –الذي علمها إياه الخاتم ﷺ بأمر من الله عز وجل– وسيلة للتحصين الروحي، ومصدرًا للقوة في مواجهة التحديات التي اعترضت طريقها في الدفاع عن الرسالة والربط بين النبوة والإمامة.

.7جاء تسبيح الزهراء (ع) ليكون منهجًا روحانيًا يعين الإنسان على التجرد من قيود الماديات، والعروج في مدارج القرب الإلهي، مما يجعله وسيلة فعالة في مواجهة الأزمات النفسية والمحن الروحية.

.8حرص الخاتم ﷺ على تقديم التسبيح لسيدة نساء العالمين (ع) كمنهج متكامل يعينها على مواجهة التحديات النفسية، موضحًا بذلك نموذجًا قرآنيًا رفيعًا للعبادة، حيث يُمكّن التسبيح الإنسان من بلوغ مرتبة الخشية من الله، والتفكر في عظمته، وتعزيز المحبة للأخيار، والحياء منه سبحانه، والإخلاص في العبادة.

.9إن التأمل في صنائع الله سبحانه وعز وجل من خلال العلوم المختلفة يُعد من أنجع الوسائل للوصول إلى إدراك أعمق لحقيقة التسبيح ومعانيه السامية.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

10.تعاني المجتمعات المؤمنة اليوم من حملات مكثفة من الحرب النفسية، مما يتطلب وعيًا عميقًا بأساليبها وسبل التصدي لها، ويبرز التسبيح –ولا سيما تسبيح الزهراء (ع)– كدرع روحي لا يمكن اختراقه، يمنح النفس الطمأنينة، ويعزز الصبر والثبات على الإيمان، والثقة بحكم الله العادل.

ثانيا: التوصيات :

1.ندعو لدراسة موسعة الظاهرة التسبيح في القرآن الكريم، إذ يبدو أن فيه مناهج محكمة لحل كثير من المشاكل الاجتماعية.

2.مما ينبغي تركيز الدراسات والبحوث عليه هو دراسة مظاهر الحرب النفسية وشعبه وإيجاد طرائق لتوقيه ورده .

3.التفكير بعمق في مضمون النصوص القرآنية المتعلقة بمفهوم التسبيح وأبعاده، مع التركيز على سياقها ومقصدها الشامل.

4.السعي لتحقيق التوازن على مستوى النفس ودرء الحرب والأمراض النفسية في حياة الإنسان من خلال معرفة قدر تسبيح فاطمة الزهراء(ع) والالتزام بأدائه كمنهج عبادي أصيل.

5.الاهتمام بتقديم الدراسات والأبحاث العلمية التي تسلط الضوء على مفاهيم الرسالة القرآنية بشكل عميق وشامل.

6.التأمل والتدبر في سمات الرحمة والهداية والرضا والطمأنينة المتضمنة في تسبيح البتول (ع) والتعمق في دراسته كنموذج للحياة الطيبة.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

7.التواصل مع العلماء المتخصصين في الدراسات الإسلامية لفهم أعمق وأشمل لخطابات القرآن الكريم حول مفهوم التسبيح وأبعاده القرآنية وأثره في الحياة الانسانية.

ثبت المصادر

•القرآن الكريم

•الإنجيل: الإصحاح الثلاثي / قضاة.

1.إبراهيم، عبد ستار. الإنسان وعلم النفس. بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٨م.

2.أبو ناموس، عبد الباسط محمد. الحرب النفسية التي استخدمتها المقاومة الفلسطينية في مواجهة العدوان الإسرائيلي على محافظات غزة عام ٢٠١٤. رسالة ماجستير، جامعة الأقصى، فلسطين.

3.الباوي، رياض. تسبيح فاطمة الزهراء من الألف إلى الياء. قم: اسماعيليان، ١٣٩٩هـ.

4.الجوهري، إسماعيل بن حماد. تاج اللغة وصحاح العربية. بيروت، ١٤١٩هـ.

5.السبزواري، محمد بن حبيب الله التحفي. إرشاد الأذهان إلى تفسير القرآن. بيروت: دار التعارف للمطبوعات، ١٤١٩هـ.

6.الطباطبائي، محمد حسين. الميزان في تفسير القرآن. بيروت: مؤسسة الأعلمي.

7.الطبرسي، فضل بن حسن. مجمع البيان في تفسير القرآن. الناشر: ناصر خسرو.

9.الفضل، محمد حسين. من وحي القرآن. بيروت: دار الملاك.

10.الكاشاني، محمد مرتضى. التفسير المعين للواعظين والمتعلمين. تحقيق: حسين دركاهي.

.11الكشاف، محمود بن عمر الزمخشري. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

.12المغنية، محمد جواد. تفسير الكاشف. بيروت: دار الكتب الإسلامية، ١٤٢٤هـ.

.13النجار، فهمي. الحرب النفسية: أضواء إسلامية. الرياض: دار الفضيلة، سلسلة الرسائل الجامعية.

.14نصر، صلاح. الحرب النفسية: معركة الكلمة والمعتقد. القاهرة: دار القاهرة للطباعة.

.15ابن كثير، إسماعيل بن عمرو الدمشقي. تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون.

.16الزبيدي، مرتضى الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: مصطفى حجازي، عبد الحميد طلب، خالد عبد الكريم جمعة. الكويت، ٢٠٠١م.

.17الشيرازي، مكارم. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل.

.18مقاتل بن سليمان. تفسير مقاتل بن سليمان. تحقيق: عبد الله محمود شحاتة. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٣هـ..

١٩ .هاري، وهيذر، بيريل. البرمجة اللغوية العصبية في ٢١ يومًا. بيروت: مكتبة مخفض.

Sources:

•The Holy Quran

•The Bible: Chapter Three / Judges

1.Ibrahim, Abdul Sattar. Man and Psychology. Beirut: Dar Al-Ma’arifa, 1978.

2.Abu Namous, Abdul Basit Muhammad. The Psychological Warfare Used by the Palestinian Resistance in Confronting the Israeli Aggression on the Governorates of Gaza in 2014. Master’s Thesis, Al-Aqsa University, Palestine.

3.Al-Bawi, Riyadh. The Tasbih of Fatima Al-Zahra from A to Z. Qom: Esmaeilian, 1399 AH.

4.Al-Jawhari, Ismail bin Hammad. Taj Al-Lugha wa Sihah Al-Arabiya. Beirut, 1419 AH.

5.Al-Sabzawari, Muhammad bin Habibullah Al-Tahfi. Irshad Al-Adhhan ila Tafsir Al-Quran. Beirut: Dar Al-Taaruf Lilmatbooat, 1419 AH.

6.Al-Tabatabai, Muhammad Hussein. Al-Mizan fi Tafsir Al-Quran. Beirut: Al-A’lami Foundation.

7.Al-Tabarsi, Fadl bin Hassan. Majma’ Al-Bayan fi Tafsir Al-Quran. Publisher: Nasir Khosro.

8.Al-Fadl, Muhammad Hussein. Min Wahi Al-Quran. Beirut: Dar Al-Malak.

9.Al-Kashani, Muhammad Murtada. Al-Tafsir Al-Mu’in lil-Wa’izin wal-Muta’allemin. Edited by: Hussein Darkahi.

10.Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Omar. Al-Kashaf ‘an Haqaiq Ghawamid Al-Tanzil wa Uyoon Al-Aqawil fi Wujuh Al-Ta’wil. Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1407 AH.

11.Al-Mughniya, Muhammad Jawad. Tafsir Al-Kashif. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Islamiya, 1424 AH.

12.Al-Najjar, Fahmi. Psychological Warfare: Islamic Perspectives. Riyadh: Dar Al-Fadhila, University Theses Series.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية

13.Nasr, Salah. Psychological Warfare: The Battle of Words and Beliefs. Cairo: Dar Al-Qahira for Printing.

14.Ibn Kathir, Ismail bin Umar Al-Dimashqi. Tafsir Al-Quran Al-Azim. Beirut: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Publications of Muhammad Ali Baydoun.

15.Al-Zubaidi, Murtada Al-Husseini. Taj Al-Arous min Jawahir Al-Qamus. Edited by: Mustafa Hijazi, Abdul Hamid Talib, Khalid Abdul Karim Jumaa. Kuwait, 2001.

16.Al-Shirazi, Makarem. Al-Amthal fi Tafsir Kitab Allah Al-Munzal.

17.Muqatil bin Suleiman. Tafsir Muqatil bin Suleiman. Edited by: Abdullah Mahmoud Shat Beirut: Dar Ihyaa Al-Turath Al-Arabi, 1423 AH.

.١٨Harry, Heather Beryl. Neuro-Linguistic Programming in 21 Days. Beirut: Discounted Library.

مجلة لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية